النبوغ وسر النجاح في الحياة [١]

سرّ النجاح في الحياة
كيف تكون عاملا وصانعاً[١] ناجحاً في عملك ؟

النبوغ وسر النجاح في الحياة [١]

السيد عادل العلوي

ما هو النبوغ[٢] ومن هو النابغة ؟

في كلّ عصر ومصر ، ومنذ الصدر الأوّل للتأريخ البشري ، يظهر على صفحة الوجود شخصيّة بارعة يشار إليها بالبنان ، ويفوق أقرانه وأترابه ، ويُخلّد في تأريخ العلم والأدب والفنّ والصناعة ، بعد ما كان في بداية حياته مغموراً مطموراً لا يعرف عنه شيء ، فيتلألأ كوكبه في سماء الحضارة والتمدّن ، ويصل إلى قمّة الشهرة والخلود ، فيترجم حياته ، ومن بين السطور يشعّ هذا الوسام بأ نّه (نابغة) .

ويُسئل حينئذ ما هو النبوغ ؟

وقد بحث العلماء في الشرق والغرب ذلك ، واختلفوا في تعريفه وبيان حدّه ، بعدما وضع النبوغ والنابغة على طاولة التشريح ، وسلّط عليهما أضواء التحقيق . والتعاريف لم يكن من الحدّ التامّ المنطقي المطرد المنعكس الجامع للأفراد والمانع من الأغيار ، وذلك بالجنس القريب والفصل القريب ، بل هي من باب شرح الاسم ، والإشارة إلى ما هو مركوز في النفس من قبل ، والمتكفّل لبيانها معاجم اللغة ، فتدبّر .

فمن علماء الغرب قال (استفن تسوابك) : النبوغ : شعلة في وجود النابغة تحرق أعماق وجوده .

وقال (كارلايل) : النبوغ : قبل كلّ شيء تحمّل المشاقّ والصعاب في الحياة على نحو خارق للعادة .

وقال (أديسون) : النبوغ : واحد بالمائة إلهام ، وتسعة وتسعين بالمائة عرق الجبين .

وعند بعض : النبوغ : استعداد عجيب لتمركز الحواسّ في موضوع وهدف واحد .

و (زان بول) يقول : التفكّر والتعقّل جوهر النبوغ ، فالنابغة من يفكّر في الموضوعات العلميّة والفنيّة .

وعند (هلوسيوس) : النبوغ : نتيجة الدقّة الممتدّة .

ويعتقد (مايتو آونولد) إنّ النبوغ : يتعلّق بالقوّة الخارقة للعادة .

و (بوفون) يقول : لم يكن النبوغ سوى الصبر العجيب .

و (راسكن) يرى النبوغ : نفوذ في جذور وأعماق الأشياء .

و (ميل) يذهب إلى أنّ النبوغ : موهبة إدراك الحقائق أعمق ممّا يراه الآخرون .

و (كلريج) يراه : الاستعداد في الرشد والتكامل .

و (جان فاستر) : القدرة على اشتعال النفس .

و (فلورانس) : الرشد والتكامل في القوى العاقلة الإنسانيّة بحظّ وافر ، وعند بعض ؛ قدرة إدراك الشيء الذي يكون أساس في كلّ شيء ، وقبل أن يخلق النابغة المجتمع ، لا بدّ للمجتمع من أن يخلق النابغة ، وكلاهما مؤثّران في تمدّن البشر .

وعند بعض : النبوغ : جلوة القوّة العصبية ، والمحيط هو المؤثّر الأوّل في إيجاد النوابغ . وبعض يرى النبوغ : تجليّات الغرائز المكنونة في بواطن النابغة ، وقيل : الفرق بين النابغة والشخص العادي هو حدّة النظر ، فالنابغة يتأثّر بالحوادث والوقائع ، ولا زال الشخص العادي في رؤياه وغفلته .

والدكتور (آدلر) يرى النبوغ نتيجة وجود نقص في التركيب الجسماني ، ويثبت أنّ من به نقص فإنّه يحاول رفعه بتشغيل قوى الدماغ بحدّ وافر في العلم أو الفنّ ، فهذه (كهلن كلر) العمياء الصمّاء الخرساء نبغت في عصرها ، وهذا (بتهوفن) نبغ في الموسيقى وهو أصمّ ، وما أكثر العلماء والفنّانين الذين نبغوا مع ما عندهم من نقص في التركيب .

ولم يكن النبوغ وراثياً ، ولكن للوراثة تأثير في تحقّقها وتبلورها ، كما نشاهد ذلك في أُسر وعوائل نبغوا في العلوم والفنون ، وربما ينضج ويطبخ النبوغ قبل أوانه ، كما نرى ذلك في كثير من نوابغ العالم كالشيخ الرئيس ابن سينا .

وكثيراً ما يبتلى النوابغ بالأمراض العصبيّة كالصرع ، كما يظهر النبوغ في الرجال أكثر من النساء ، وفيهم الخبط الدماغي أكثر .

و (باسكال) يصرّ على أنّ النبوغ مثل الجنون ، وأنّ النابغة أقرب الناس إلى الأمراض الروحيّة ، وإصابتهم بالماليخوليا الجنونيّة .

والنوابغ منذ الصغر ينجذبون إلى مكنونات بواطنهم من النبوغ ، وربما يتأخّر النبوغ بعد أوانه مثل ما نجد ذلك في (بلزاك) و (كولد سميث) ، ويعتقد البعض أنّ سبب ذلك عدم اعتناء المربّين ، أو من تأثير المحيط الفاسد ، أو الفقر المقيت المدقع .

ويقال إنّ للنابغة دماغين : دماغ في خدمة نفسه ، ودماغ في خدمة نبوغه ، وربما يمنع الأوّل الثاني أو بالعكس ، وإنّما يتولّد النبوغ من البواطن وبعوامل خارجيّة ، ويعيش النوابغ حالة الانعزال عن الناس ، وكثيراً ما لا يعرف قدرهم في حياتهم ، ولكن عدم اعتناء الآخرين لم

يزلزل ويثبط عزمهم ، بل دائماً هم في بوتقة العمل ، وبكلّ شوق وإخلاص ، فإنّهم يعيشون للأجيال القادمة لا لمعاصريهم ، ولم ينحصر ذلك في قوم أو شعب ووطن خاصّ ، بل هو للعالم أجمع ، ويسمع نداءهم جيلا بعد جيل ، ولم يدرك المعاصرون نوابغهم .

ويختلف النابغة في حياته العلمية والعمليّة عن الناس ، فإنّ الناس يفكّرون بالمقام والمال واللذائذ الشهوانيّة ، ولكن النابغة يستغلّ الفرص وساعات الفراغ من أجل نبوغه ونشاطه العلمي أو الفنّي أو الصناعي ، يتعمّق في الفكر وإن لم يكن فيه المنافع الماديّة بخلاف الآخرين ، فنوره من نفسه ، ومنار الآخرين منه ، فهو كالظاهر بنفسه والمظهر لغيره .

وأمّا الفرق بين العالم والنابغة : فإنّ العالم يُتعلّم منه ما تعلّم واكتسب ، والنابغة إنّما يكسب منه ما ترشّح من فيض وجوده ، ولم يتعلّمه من الآخرين .

والعالم كرامي السهم فإنّه يعلّم الهدف والرمي ، فيكرم عند الناس ، والنابغة أهدافه غير جليّة فهي في خبايا وجوده ، فلا يعرف قيمته ، ولا يجلّل ويحترم من قبل الناس إلاّ بعد ظهور رميته وأهدافه .

ويختلف النابغة مع الناس في كلّ شيء حتّى الأخلاقيّات ، ويبقى عمله جديداً وطريّاً متى ما كان وأينما كان .

والمطالعة المستمرّة للنوابغ موادّ أوّليّة لمكنوناتهم الباطنيّة وبنائهم الفكري ، ومجمل القول : أنّ النابغة عمله كنحلة العسل ، وباقي الناس كالنمل ، فهو يصنع وينتج بعد ما يجمع ، وهم يحافظون على ما يجمعون . فالنابغة يقدّم الشيء الجديد ، وباقي الناس يقدّمون ما كان قديماً ، فهو ذو بصيرة نافذة وحدّة نظر ، يرى ما لا يراه غيره ، فيكشف الستار عن المجهولات في لوحته الغنيّة ، وشعره الموزون وكتابه القيّم ، وغير ذلك .

وإنّ إدراك العلوم والفنون يفتقر إلى بصيرة وقّادة يفقدها العوامّ ، والنابغة يدرك بعد ما ينسى نفسه ويدخل في عالم المثل والصور ، فعنده قدرة العقل والتفكّر أقوى وأعظم من قدرة النفس ، والناس عقولهم في خدمة نفوسهم وملذّاتهم ، والنابغة كلّ شيء في خدمة عقله ، ويضحّي بكلّ شيء من أجل عقله ، ولا يرى منافعه الشخصيّة ، ويعيش في العالم الأكبر المتبلور في وجوده ، النوابغ خلصت آثارهم من الماديّات فتلقاهم في عالم الوجود والانجذاب ولو في لحظات ، فهو كالشجرة اليانعة الخضراء تسرّ الناظرين ، وتنبسط النفوس في عالم الوجد والانجذاب ولو في لحظات ، وتنبسط النفوس بجوارها وفي دوحتها وظلّها .

الناس يعيشون من أجل أهدافهم الشخصيّة ، ولهم أغراض في منافعهم وأعمالهم ، والنوابغ لما عندهم من العقل الكبير والفكر العملاق كأنّهم في حياتهم المعاشيّة بلا غرض ، ويصابون بالعجز في إدارة أنفسهم حتّى في أعمالهم الفرديّة والشخصيّة ، وقد يصدر منهم ما يضحك الآخرون حتّى ينسب إليهم الجنون ، إذ هم في

كشف أسرار الكون ، وينسون أنفسهم ، وينكرون الذات ، وعندهم العلم والفنّ الهدف ، وباقي الناس كلّهم يعتبرونها وسيلة لتحصيل الثروة والمقام والملاذ ، فالنوابغ عشّاق الفكر والعلم والتجربة والوصول إلى أسرار الخليقة والمعاني ، وربما يصل إلى مرحلة العجز في حياته الطبيعية ، ونجدهم قد حلّقوا في أجواء العلم وآفاق الأدب وسماء الفنّ ، ويستلذّون بذلك غاية اللذّة ، ولا ينتظر مدح الآخرين وإطرائهم وثنائهم .

النابغة كالطفل يعيش في الوداعة والبساطة وعدم الاغترار بزينة الدنيا وزخرفها ، إذ تغلب على نفسه قوّة العقل ، وينمو عنده الجهاز العصبي أكثر من غيره ، ويعيش في عزلة ، وربما يصاب بالجنون ، وقد قال أرسطو المعلّم الأوّل : من نبغ في الفلسفة والسياسة والشعر والفنّ فإنّ له طبع ماليخوليائي ، ومن يراجع مستشفى المجانين يجد كثيراً منهم لديهم نوعاً من النبوغ ، وكثير منهم يصابون بعقدة الانتحار .

النبوغ تربية القوّة الدرّاكة فوق الإرادة ، والنابغة يفكّر دائماً بما هو الأساس والخالد في الكون ، وغيره يفكّر بأُمور آنية سريعة الزوال ، فهو ابن الوقت ، والنابغة ابن الزمن ، ولذّة النابغة من نبوغه ، وتجبر عزلته وتنسي همّه وغمّه ، فالناس سكون بلا حركة ، إرتجاع وتقليد من غير حجّة ، والنوابغ في حركة متواصلة من الاكتشافات والاختراعات والإبداعات ، وتزيد عندهم الإرادة والتصميم والعزم والعمل الدؤوب مع نفوذ البصيرة .

فسقوط التفّاحة من الشجرة عند الناس لا تحكي عن شيء ، وعند النابغة ، تحكي عن جاذبيّة الأرض ، وينظر إلى الكونيّات معتبراً متعلّماً ، وينتفع ما ينتفع غيره ، فالقصّاب ينظر إلى جسد الشاة ينتفع منها المنافع الماديّة ، والنابغة ينظر إليها ليكشف أسرارها ، ويغفل عن نفسه في خضمّ تجاربه ، كما له قوّة التمركز على موضوع واحد ساعات وأيام وشهور وسنين ، وهو جديد في كلّ جديد ، ويطير في سماء التفكير حتّى يصل القمّة ، ولا قمّة في الأفكار ، وهذا الحبّ الدفين يدفعه بكلّ جدّ وإخلاص إلى الاكتشافات والاختراعات والتصنيف ، وينظر إلى العالم بإعجاب ودقّة ، فهو كالشمس نوره من نفسه ، وباقي الناس كالقمر نورهم من غيرهم .

النابغة ينبوع الحياة ، ويتفجّر منه ما فيه الحياة والتطوّر ، ويطوي المسير الكوني والتأريخ البشري قبل غيره بقرون وسنين ، فهو وإن عاش منعزلا عن المجتمع ، ولكن يعيش في خضمّ الكون وأسراره وحقائقه المستورة ، فهو قوي الإحساس ومرهف الشعور ، ويعيش في حزن وكآبة ويتمنّى خلاص روحه من جسده الضيّق .

وقيل : أكثر النوابغ من قصيري القامة ، كأرسطو وبانكور وأرخميدس وآتيلا وبتهوفن ونابليون وغيرهم ، والغالب على النابغة أ نّه نحيف الجسم يتألّم من محيط المدرسة في بداية عمره ، كآينشتاين وروسو وديكارت وفرويد وكالريج ، حتّى بعضهم ترك المدرسة كبرناردشو وهتلر وأديسون ، وحتّى برناردشو عندما كتب عن حياته رسم مدرسته خلف قضبان الحديد كناية عن السجن ، وقال : قضيت

أفضل عمري في هذا السجن ، والغالب على أولاد النوابغ البلاهة ، فأرسطو له خمسة أولاد اشتهروا بالبلاهة ، وابن سيسرون كان دائم الخمر ، وابن والتركان يفتخر أنّه لم يقرأ مزخرفات أبيه ، وعندما سألوا ابن موزارت أتحبّ الموسيقى ؟ ألقى مجموعة من النقود على الطاولة وقال : الموسيقى الوحيدة المفضّلة عندي هذه النقود ، وحتّى بعض أقارب النوابغ ابتلوا بالحماقة والجنون كصبية فيكتور هيغو .

وكثيراً ما يورث النبوغ من الأُمّهات ، كسيسرون وكندرسه وبوفون كونة ونابليون وشوبنهاور ولامارتين وكنت والشيخ الرئيس ، وبعض من الآباء كشيللر وميلتون وبيكون وثاسو .

ويندر نبوغ النساء ، إذ شرط النبوغ الابتكار ، وشرط الابتكار الشجاعة والتهوّر ، والنساء يفقدون ذلك في الغالب ، وشوبنهاور يعتقد أنّ المرأة ذاتاً تفقد النبوغ .

والغالب على النوابغ التضحية والفداء من أجل الشعوب والأوطان وإصلاح المجتمعات . وهم غالباً في سفر ورحلات كثاسوا الشاعر والناو وادكار الن بو وروسو ، ويشتغلون بأشغال مختلفة ومهن عديدة ، كسويفت وروسو وكاردان وليوناردو دافنشي احترفوا الهندسة والتحقيق والرسم والعلم ، وابن سينا طبيب وفيلسوف وسياسي ، وأبو ريحان فيلسوف وأديب وطبيب ، ويغلب عليهم الحزن والغمّ ، حتّى أنّ (فلوبر) يكتب : إنّي لم أُخلق للفرح ، وشوبان حسّاس إلى درجة تبكيه الوردة الذابلة والذبابة الميّتة ، وكثيراً ما يبتلى النوابغ بالانتحار ويفكّرون بذلك .

هذا خلاصة ما يقال في النبوغ والنوابغ وخصائصهم ، وإنّهم في الأعصار والأمصار يعدّون بالأصابع ، والمطلوب منّا أن نكشف سرّ النجاح ورموز الموفّقيّة في الحياة لجميع الناس على حدّ سواء .

فما هي عوامل النجاح في الحياة ؟

---

[١] رسالة طبعت في مجلّة الذكر الصادرة بقم المقدّسة ، العدد ١٦ ، السنة الثانية ١٤١٥ هـ .

[٢]النبوغ لغةً : من نبغ بمعنى خرج وظهر ، ونبغ الرجل نبغاً لم يكن في إرثه الشعر ثمّ قال وأجاد ومنه سمّي النوابغ من الشعراء نحو الجعدي والذبياني وغيرهما ، ونبغ فيهم النفاق إذا ظهر بعدما كانوا يخفونه منه . (لسان العرب ١١ / ٢٤) و (لغت نامه دهخدا ٤٣ / ٣١٩) .

ويقال : نبغ في العلم وفي كلّ صناعة إذا أجاد ، ونبغ في الدنيا اتسع ، والنبوغ بمعنى الجديد تفوّق المرء في العلم والأدب والفنّ ، وبمعنى الذكاء المفرط والاستعدادات العجيبة ، والنابغة الرجل العظيم الشأن (دائرة معارف وجدي ١٠ : ٣٠) .

سرّ النجاح في الحياة

كلّ واحد من الناس يحاول منذ نعومة أظفاره في جميع حقول حياته ، أن يكون ناجحاً في أعماله ، موفّقاً في أفعاله ، متفوّقاً على أقرانه ، متميّزاً بين أصحابه ، سعيداً في حياته ، رغيداً في عيشه ، فمنذ الصغر يفكّر الإنسان كيف ينجح في عمله وحياته الفردية والاجتماعية ، فيبذل ما في جهده وطاقته ليحوز على النجاح الباهر ، وربما يخسر المعركة وربما يفوز ، فهو دائماً بين اليأس والأمل ، وربما يبتلى بالقلق والاضطراب ، وأخيراً : الخيبة والرسوب ، وربّما يُقدم على الانتحار لضعف همّته ، ولكن النجاح الأكيد يكمن في عوامل لو التزم بها الإنسان ، وجعلها نصب عينيه ، لنجح في حياته ، ولنال ورقة النجاح وضمن ذلك منذ البداية ، وأهمّ عوامل النجاح في حياتك ، كما في علم النفس ، فهو كما يلي :

أوّلا : أن تعرف ذوقك واستعدادك الذي أودعه الله في جبلتك وباطنك ، ولا بدّ لك أن تكشف ذلك مهما كلّف الأمر ، فلو ملكت قوّة الرسم ووجدت في نفسك أ نّه يمكنك أن تكون رسّاماً قديراً ، وعندك موهبة (فنّ الرسم) واستعداده ، فحينئذ لا تتعب نفسك في الدخول في سلك الأدباء والشعراء ، لو لم تملك القريحة الشعرية ، فإنّه ضياع للجهود ، ولن تنال السبق في وادي الشعر . وإذا كنت تملك في نفسك حرفة صناعية ، أو وجدت ذلك في ولدك أو تلميذك ، فلا تتعب النفس حينئذ بتعليمها الفلسفة والمفاهيم العقلية الثقيلة ، فإنّك وإن تعلّمتها ، إلاّ أ نّك لا تفوق الآخرين ولا تنال النجاح الباهر ، فإنّك خلقت لشيء آخر ، كما نقف على هذا المعنى دليلا وشاهداً وشهوداً من خلال مطالعة حياة عظماء العالم ، وعباقرة الناس ، ونوابغ العلوم والفنون .

ثانياً : العمل الكثير الدؤوب والمستمرّ ، فليس للإنسان إلاّ ما سعى ، وبقاء ناموس الحياة على قانون الجهد والعمل ، فما أروع مقولة (الكسندر هاميلتين) نابغة عصره حينما قال : « يقولون إنّك نابغة ، ولكن لا أعلم من نبوغي شيئاً ، إنّما أنا رجلٌ أعمل » .

وعظماء الدنيا على الإطلاق إنّما حازوا السبق ، وتربّعوا على عرش النجاح بعملهم وجهدهم المتواصل إلى آخر لحظة من حياتهم ، فهذا أبو ريحان البيروني يتعلّم مسألة فقهيّة في آخر لحظة ، ويقول : أموت عالماً بهذه المسألة أفضل من أن أموت جاهلا بها ، وإليك ابن سينا وابن رشد ، وهذا أديسون ، وذاك باستور ، ومئات من الشخصيّات الاجتماعية الفذّة في الشرق والغرب ، كانوا أهل عمل وتفكير وتخطيط في الحياة ، حتّى في السجون والظروف الصعبة والحرجة ، فالسعادة والنجاح تطرق باب الساعي المجدّ والمجتهد ، وعلى المرء أن يسعى فإنّ اليوم يوم عمل وغداً الحساب .

ثالثاً : الإيمان بالهدف ، فإنّه المحرّك الباطني الذي يدفع الإنسان نحو التقدّم والازدهار ، والمؤمن بالهدف يسهل عليه تحمّل المصاعب

والمشاكل في مسيره ، ولا تعيقه العوائق ، ولا يخاف من قول حذار ، ولا يبالي بما قيل ويقال من الافتراء والكذب والتهمة ، فإنّه يعتقد بسير عربته وأ نّه في الشارع المستقيم والطريق القويم ، فلا يهمّه نباح الكلاب كما جاء في المثل : « عربته تسير والكلاب تنبح » ويفدي النفس والنفيس من أجل الوصول إلى المراد والمقصود ، وحتّى نهاية المطاف والهدف ، وربما تكون الأهداف مقطعيّة لا بدّ أن يطويها حتّى يصل إلى قمّة أهدافه في الحياة ، ولكلّ امرء ما نوى ، وقُل : كلّ يعمل على شاكلته .

رابعاً : الصبر والاستقامة ، فإنّ ذلك من أهمّ عوامل النجاح ، وهو رمز الموفّقية في العمل ، وإنّ الصبر أساس الأخلاق الحميدة ، وإنّ التوفيق في الحياة والنجاح في العمل ، منه قريب ومنه بعيد وطويل المدى ، فلا بدّ من المقاومة والصبر ، كما أنّ النبوغ على قسمين : سريع وبطيء ، فكذلك التوفيق والنجاح بعيد وقريب ، فإنّ السكّاكي معلّم البلاغة صاحب كتاب مفاتيح العلوم ، لولا استقامته وصبره في طلب العلم لما فاق أقرانه وشاع صيته ، فالاستقامة عنصر مهمّ لمن طلب النجاح سيّما من كان في مقام إصلاح المجتمع وقيادته ، فقد قال الله تعالى لنبيّه الأكرم في القرآن الكريم :

(اسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ)[١] .

خامساً : التمركز الفكري ، فإنّ قطرات المطر لو انضمّت بعضها مع بعض ، وجمعت في مكان ، لجرى الماء وأصبحت نهراً ، ثمّ شطّاً ، ثمّ بحراً ، وإلّا فإنّ الأرض تبتلع القطرات المتناثرة .

كذلك الأفعال الفكريّة والأعمال البدنيّة ، فإنّ التمركز الفكري يفتح آفاقاً جديدة للإنسان في ميادين العمل ، ويحلّ المشاكل ، ويزيل العوائق في طريق الموفّقية .

فالدقّة من أهمّ العوامل في حياة المخترعين والمكتشفين ، وإنّ الاختلال الفكري ممّا يحطّم المرء في حياته ، وقد سئل نيوتن المكتشف الكبير : كيف وصلت إلى تلك الاكتشافات الجمّة ؟ فأجاب : بالتأمّل المستمرّ .

سادساً : النظم والانضباط في الحياة ، فإنّ العالم الناسوتي بل الوجود كلّه يتأطّر بإطار النظم ، فالنظام هو الحاكم على الكون ، فمن المجرّات السماويّة وإلى الكواكب السيّارة ، وحتّى الذرّات الصغيرة ، مسوّرة بالنظم ، ونظام العالم أعظم معلّم ومربّي لحياتنا اليومية . وعن أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) في آخر وصيّته لولديه الحسن والحسين (عليهما السلام) : أُوصيكما بتقوى الله ونظم أمركما[٢] . ومن علامة النظم تقسيم أعمالنا (لساعاتنا) اليوميّة ، فإنّ العاقل الذي يضع الأشياء في مواضعها ، فنظّم أمرك وحياتك لتنجح وتسعد ، فإنّ الوقت من ذهب ، وإضاعة الفرصة غصّة ، وقد فاز باللذات من كان منظّماً في حياته وعيشه .

سابعاً : الشروع في العمل من الصفر ، فإنّ أوّل الغيث قطرة ، وأوّل مسيرة ألف ميل خطوة ، فإنّ العمل الناجح والعامل الناجح : من يبدأ

من الصفر ومن الشيء الضئيل ، فالنجاح حليف من كان له همم شامخة ، فإنّ همم الرجال تزيل الجبال ، ونجح من خطّط في حياته ، يبدأ بالمسير الطويل بخطوة ، وهي من أصعب الخطوات ، فإذا رفع القدم الأوّل ، فإنّ القدم الثاني يكون خلفه بسهولة ، فيشرع من مكان صغير ، وعمل ضئيل ، ثمّ يواصل حتّى النهاية ، راجع سيرة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وطالع حياة العظام لتقف على ما أقول .

ثامناً : عدم التقليد الأعمى والأصمّ ، فمن قلّد الآخرين من دون وعي وعلم ، فإنّه لن ينال النجاح المطلوب ، فعليك أن تكون ذا فكر وقّاد ، وعمل مستقلّ ، ولا تميل مع كلّ ريح ، ولا يحقّ ان ينعق الإنسان مع كلّ ناعق ، بل عليك بكسب المعرفة والعلم ، ثمّ العمل بإيمان وصبر وحكمة وتمركز فكري ، ونظم ، والشروع من النقطة ومن الصفر ، وإيّاك والتقليد المحض ، وكن خلاّقاً في حياتك ، واسلك الطريق الجديد الذي لم يفتح ، كما فعل كبارنا ذلك ، فإنّهم فكّروا أحراراً ، وعاشوا أحراراً ، وماتوا أحراراً .

وقد خلقك الله حرّاً فلا تكن عبد غيرك ، فإنّه لا يستحقّ الخضوع والخشوع والعبوديّة إلاّ الله سبحانه وتعالى :

(قولوا لا إلـهَ إلاّ الله تُفْلِحوا) .

ومن الله التوفيق والسداد ، أي منك الحركة ومن الله البركة ، فاستعن بالله عزّ وجلّ ، وقم وطبّق هذه العوامل الأساسيّة لتكون ناجحاً في حياتك العلميّة والعمليّة ، فاستقم كما أُمرت .

---

[١]هود : ١١٢ .

[٢]نهج البلاغة .

كيف تكون عاملا وصانعاً[١] ناجحاً في عملك ؟

إنّ الله يحبّ الشابّ الذي يعمل ، ويكره من كان فارغاً لا شغل له ، فإنّ الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) لمّا رأى شابّاً وأعجبه فسأل عن عمله فقالوا : لا شغل له . فقال : « سقط من عيني » ، وهذا يعني أنّ رسول الاسلام يحثّ المسلمين على العمل ، ولا بدّ من شغل شاغل ، فلا كسل ولا ضجر ، فإنّهما يضيّعان الحقّ ، فمن الإنسان الحركة ومن الله البركة ، وهذا أصل أصيل يقرّ به العقل النبي الباطني ، كما يحثّ عليه الدليل النقلي أي الرسول الظاهري ، فالحُجّتان الظاهرية والباطنية متعاضدتان ومتّفقتان على أنّ الإنسان لا بدّ له من شغل وعمل متواصل ، وأنّ الكاسب حبيب الله ، والساقط من لا عمل له ، ويقضي نهاره وساعاته عاطلا باطلا ، يذرع ويهندس الشوارع والطرق ، أو بين النوم والخلسة ، أو لقاء المقاهي والكازينوهات .

ثمّ الاعمال مختلفة ومتفاوتة ، ولمّا كان المقصود بقاء النوع الإنساني ، وحكومة النظام والقانون البشري ، وإنّ الانسان مدني الطبع ، وكلّ واحد يحتاج إلى الآخر ، وأنّ المقاصد مختلفة ، والاحتياجات متعدّدة ، لتعدّد جوانب الحياة وتركّب الانسان من روح وجسد ، واختلاف مقتضياتهما ، وإنّ المجتمع يحتاج إلى طبيب كما يحتاج إلى عالم ديني ، ليكون الأوّل معالج الجسد في أمراضه وأسقامه ، والثاني معالج الروح في صفاتها الذميمة ورذائل الأخلاق وكلاهما يسعيان في سعادة الإنسان ، كما يحتاجان إلى البنّاء والقصّاب والبقّال وغيرهم ، وكذلك هم يحتاجون إليهما ، فكلّ واحد يفتقر إلى شغل الآخر ، وهذه سنّة الحياة وضرورة العيش التي لا يمكن إنكارها ، فإنّها من القضايا التي قياساتها معها ، كما هو واضح .

ثمّ الناس في حِرَفهم وأشغالهم وفنونهم بين مدير وعامل ، وتاجر وصانع ، وربّ عمل ومربوب ، وأُستاذ وتلميذ ، وعالم ومتعلّم ، وطبيب ومريض ، فليس الكلّ سواسية ، بل اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الاختلاف في العقول والنفوس والاستعدادات والنشاطات والتقدّم والازدهار ، إلاّ أنّ الطريق مفتوح أمام الجميع على حدّ سواء .

(وأن ليس للإنسان إلاّ ما سعى)[٢] .

وهو الذي يقرّر مصيره بلا جبر ولا قسر ، بل بيده الاختيار ، وبيده مفتاح التوفيق في الحياة ، وإنّه هو الذي يسعد نفسه ، أو يجعلها من الأشقياء والتعساء .

(إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً)[٣] .

والتوفيق إنّما هو خير رفيق في حياة الانسان بشرط أن يكون هو من أهل التوفيق ، ويجلب لنفسه التوفيق ، ويفكّر ويدبّر ويعمل بكياسة

وسياسة وحنكة وحزم وعزم وصبر حتّى يطوي مدارج التوفيق ، وحتّى يفوق أقرانه ويصعد القمّة بعد جُهد جهيد ، وعمل دؤوب ، ويكون سعيداً في حياته ، كما يُسعد به الآخرون .

هذا وهناك عوامل أساسيّة للتوفيق والتقدّم والسعادة ، وكأ نّها قوانين رياضيّة وحسابات جبريّة غير قابلة لتخلّف ، فإنّ الواحد زائد واحد يساوي إثنان ، وهذا لا يمكن تغيّره وتبدّله ، لأ نّه قانون رياضي حاكم على الكون كلّه ، وكذلك هناك عوامل في نجاح الانسان في حياته العلمية والعملية ، يفوز وينجح من طبّقها وعمل بها وجعلها نصب عينيه في حياته الفرديّة والاجتماعيّة .

ومقصودنا من هذه المقالة القصيرة أن نذكر أهمّ العوامل التي توجب تقدّم العامل الصانع في عمل ما أو معمل أو دكان في حرفة أو مهنة ، بل في أيّ مجال من مجالات الحياة العمّاليّة ، كصانع التاجر أو صانع النجّار أو بائع الأحذية أو الذي يشتغل في طبع الكتب أو الصحافة أو ما شابه ذلك ، فإنّ من لم يوفّق في إكمال دراسته أو أراد أن يتّجه إلى عمل من الأعمال لضرورة الحياة وصعوبتها ومشاكلها التي ربما تمنع طالب المدرسة أن يكمل دراسته ، فتسوقه المشاكل وصعوبة العيش إلى أن يدخل في حرفة أو يختار مهنة ، ليزاول صنعة وفنّ وعمل ، فعليه أوّلا أن لا يضجر ولا يكسل ولا ييأس ، بل بإمكانه أن يعوّض دراسته بمهنته الجديدة بعد أن يتفوّق بها ، ويتقدّم وتزدهر حياته العمليّة والصناعية أو التجارية أو ما شابه ذلك ، ولا بدّ لمن أراد النجاح في مهنة وصنعة أن يكون صانعاً أوّلا حتّى يكسب الخبرة والتجربة في تلك الصنعة وفي ذلك العمل ، وهذا أمر طبيعي يعترف به الوجدان ، وكفى به دليلا وشاهداً ، ثمّ إذا أراد أن يسعد في عمله ويتقدّم ويتفوّق ويتوفّق ، فعليه أن يراعي هذه الاصول الأولية والعوامل الأساسية ، وهي عبارة عن النقاط التالية :

١ ـ الاخلاص في العمل (أخلص تنل ـ قالها أمير المؤمنين علي (عليه السلام)) وهذا من أهمّ الأصول في نجاح الإنسان ، فإنّه إنّما ينال ويصل ويحلّق في آفاق الفلاح والصلاح والنجاح بالإخلاص ، من دون أن يسرق من العمل أو ربّ العمل ، ويستعمل الحيلة والمكر والخديعة والغشّ ويتصوّر ذلك أ نّه من الشطارة والكياسة ، فإنّه بهذا يحفر قبره بنفسه ليسقط فيه ، وإنّ الموت أولى له من الحياة ، وبطن الأرض خير له من ظهرها .

٢ ـ غنى الطبع ، فالعامل الناجح لا بدّ أن يكون غنيّاً في طبعه ، فلا ينظر إلى يد أستاذه ، ويركض وراء لقمته ، ويطمع في ماله ، فإنّ الطمّاع لا قيمة له في الحياة ، وهو مهان في المجتمع ، حتّى عند من يشتغل عنده ، والمدير أو صاحب المعمل أو التاجر يمتحن ويختبر العامل ، فإن وجده غنيّ الطبع عزيز النفس ، أمين ، صائن النفس عن الهوى ، فإنّه يكبر بعينه ، ويرتاح إليه ، ويصل الأمر به إلى أن يقلّده مقادير الأمور ومفاتيح العمل .

٣ ـ الابداع في العمل ، فالعامل الموفّق من يفكّر بإخلاص وغنىً أن يبدع في عمله ويطوّره ، ويفكّر في خدمة أستاذه ومديره وتقدّمه

ونجاحه ، ويرى أنّ نجاحه في نجاح أستاذه ومن يشتغل عنده .

٤ ـ نسيان النفس ، بعد أن يختار العامل الأُستاذ الجيّد والنظيف والموفّق في عمله وتجارته وصنعته ومعمله ومهنته ، فبعد أن يرى ربّ العمل الصالح والناجح ، فعلى الصانع والعامل أن ينسى نفسه أمامه ، ولا يرى لنفسه وجوداً أمام وجود أُستاذه ، بل كأ نّه يفنى في الأُستاذ ويكون كالعاشق والمعشوق ، يتّحدان روحاً ، ويختلفان جسداً .

٥ ـ الأخلاق الطيّبة في العمل ، وهذا أيضاً من أهمّ العوامل التي توجب الرضا والنجاح في الحياة العلميّة والعمليّة ، فإنّ العامل ذو الأخلاق الطيّبة يجلب الزبائن إلى حانوت أُستاذه وربّ عمله .

٦ ـ شعور الأُستاذ بوجود الصانع ، أي لا يكون وجود الصانع وعدمه بالنسبة إلى أُستاذه واحداً ، فإنّ من كان كذلك فلا خير فيه ، بل لا بدّ للصانع والعامل أن يثبت وجوده وضرورة العمل إليه ، كأن يكون مفتاح العمل بيده ، ولولاه لاختلّت الأعمال ، وتوقّفت ولو برهة من الزمن ، ومن كان يومه أفضل من أمسه فهو الناجح ، ومن ساوى يوماه فهو مغبون ، ومن كان أمسه أفضل من يومه ، فهو ملعون بعيد عن رحمة ربّه ، والموت خير له من الحياة .

٧ ـ بناء الشخصيّة قبل المال ، يعني على من يريد أن يوفّق في حياته أن يبني شخصيّته أوّلا قبل أن يفكّر بالثروة وجلب المال ، فمن كان له شخصيّة إجتماعية كلّ حسب شأنه ومقامه وظروفه ، فإنّه سيخلص في عمله ، ولا يطمع في مال مديره وربّ عمله ، كما أ نّه يبدع في العمل ، ويحسّس الأُستاذ بوجوده ، ويفوح منه نسيم الأخلاق الطيّبة ، والسجايا الحميدة ، فيأنس به من يجاوره ، ويشمّ عطره وطيبه .

٨ ـ التخطيط في العمل ليلا ليطبّق ذلك في نهار عمله ، فلا تكون تصرّفاته وحركاته وسكناته عفويّة وخلق الساعة ، بل لا بدّ له من الحذاقة واللباقة والتأمّل والتدبّر والتخطيط في الليل على أ نّه كيف يبدع ؟ وكيف يعمل ؟ وكيف يتحدّث ؟ وكيف يتعامل مع فلان وفلان ؟ وهكذا ، وكلّما كبر العمل زاد التخطيط ، وزادت ساعاته كما هو واضح .

٩ ـ الصبر الجميل مع الأُستاذ الناجح ، فإنّ الصانع بعد اختياره ربّ العمل والأُستاذ الناجح ، لا بدّ أن يصبر معه صبراً جميلا ، ويتحمّل ذلّ التعلّم ومسكنة العمّاليّة ، فلا يتبطّر ولا يغترّ ، فإنّ التبطّر والعجب والغرور من العوامل المهدّمة في تقدّم الإنسان ، بل عليه أن يصبر ولو لسنين وسنين ، حتّى يتعلّم كلّ أطراف العمل وجوانبه وخفاياه وأسراره ، ويتسلّط على الصنعة والمهنة والحرفة كاملا ، ولا يفوته شيء ولو كان صغيراً ، فربّ مسمار صغير يوقف ماكنة جبّارة وكبيرة عن العمل .

١٠ ـ لا ينسى فضل أُستاذه بل يبجّله ويعظّمه ويرجع إليه دائماً ، ويقدّره ويحترمه ، فإنّ بركة العلم في تعظيم الاستاذ .

و (لئن شكرتم لأزيدنّكم)[٤] .

ومن لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق[٥] .

والحمد لله ربّ العالمين .

---

[١]المراد من الصانع هنا أي العامل الذي يعمل في حانوت أو معمل أو ما شابه ذلك ، فالصانع على اللهجة العراقية ، وقد طبع هذا الموضوع في صحيفة (صوت الكاظمين) ، العدد ؟؟؟ ، سنة ١٤١٩ هـ .

[٢]النجم : ٣٩ .

[٣]الإنسان : ٣ .

[٤]إبراهيم : ٧ .

[٥]حديث نبويّ شريف .